

## تفسير البحر المحيط

@ 57 @ فَضَّلَهُ إِنْ نَزَّهُ كَانَ بِرِكُمْ رَحِيمًا \* وَإِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فِي  
الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ  
أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا \* أَفَأَمِنْتُمْ . . .  
لما ذكر تعالى وصف المشركين في اعتقادهم آلتهم وأنها تضر وتنفع ، وأتبع ذلك بقصة  
إبليس مع آدم ، وتمكينه من وسوسة ذريته وستويله ذكر ما يدل من أفعاله على وحدانيته ،  
وأنه هو النافع الضار المتصرف في خلقه بما يشاء ، فذكر إحسانه إليهم بحرًا وبرًا ،  
وأنه تعالى متمكن بقدرته مما يريده . وإزاء الفلك سوقها من مكان إلى مكان بالريح  
اللينة والمجاديف ، وذلك من رحمته بعباده وابتغاء الفضل طلب التجارة أو الحج فيه أو  
الغزو . والضر في البحر الخوف من الغرق باضطرابه وعصف الريح ، ومعنى { ضَلَّ } ذهب عن  
أوهامكم من تدعونه إلهاً فيشفع أو ينفع ، أو { ضَلَّ } من تعبدونه إلا [ ] وحده  
فتفردونه إذ ذاك بالالتجاء إليه والاعتقاد أنه لا يكشف الضر إلا هو ولا يرجون لكشف الضر  
غيره . ثم ذكر حالهم إذ كشف عنهم من إعراضهم عنه وكفرانهم نعمة إنجائهم من الغرق ،  
وجاءت صفة { كَفُورًا } دلالة على المبالغة ، ثم لم يخاطبهم بذلك بل أسند ذلك إلى  
الإنسان لطفاً بهم وإحالة على الجنس إذ كل أحد لا يكاد يؤدي شكر نعم [ ] . . .  
وقال الزجاج : المراد بالإنسان الكفار ، والظاهر أن { إِلَّا إِلِيَّاهُ } استثناء منقطع  
لأنه لم يندرج من قوله { مَنْ تَدْعُونَ } إذ المعنى ضلت آلتهم أي معبوداتهم وهم لا  
يعبدون [ ] . وقيل : هو استثناء متصل وهذا على معنى ضل من يلجؤون إليه وهم كانوا يلجؤون  
في بعض أمورهم إلى معبوداتهم ، وفي هذه الحالة لا يلجؤون إلا إلى [ ] والهمزة في {  
أَفَأَمِنْتُمْ } للإنكار . قال الزمخشري : والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتُم  
انتهى . وتقدم لنا الكلام معه في دعواه أن الفاء والواو في مثل هذا التركيب للعطف على  
محذوف بين الهمزة وحرف العطف ، وأن مذهب الجماعة أن لا محذوف هناك ، وأن الفاء والواو  
للعطف على ما قبلها وأنه اعتنى بهمزة الاستفهام لكونها لها صدر الكلام فقدمت والنية  
التأخير ، وأن التقدير فأمنتُم . وقد رجع الزمخشري إلى مذهب الجماعة والخطاب للسابق  
ذكرهم أي { أَفَأَمِنْتُمْ } أيها الناجون المعرضون عن صنع [ ] الذي نجاكم ، وانتصب {  
جَانِبِ } على المفعول به بنخسف كقوله { فَخَسَفْنَا بِهٖ وَبَدَّارَهُ الْآرْضَ }  
والمعنى أن تغييره بكم فتهلكون بذلك . وقال الزمخشري : أن نقلبه وأنتم عليه . . .  
وقال الحوفي : { جَانِبِ الْبَحْرِ } منصوب على الطرف ، ولما كان الخسف تغييباً في

التراب قال : { جَانِبَ الدِّيرِ } و { بِرِكُمْ } حال أي نخسف { جَانِبَ الدِّيرِ }  
مصحوباً بكم . وقيل : الباء للسبب أي بسببكم ، ويكون المعنى { جَانِبَ الدِّيرِ } الذي  
أنتم فيه ، فيحصل بخسفه إهلاكهم وإلاً فلا يلزم من خسف { جَانِبَ الدِّيرِ } بسببهم إهلاكهم  
.

قال قتادة : الحاصب الحجارة . وقال السدّي : رام يرميكم بحجارة من سجيل ، والمعنى  
أن قدرته تعالى بالغة فإن كان نجاكم من الغرق وكفرتم نعمته فلا تأمنوا إهلاكه إياكم  
وأنتم في البر ، إما بأمر يكون من تحتكم وهو تغوير الأرض بكم ، أو من فوقكم بإرسال حاصب  
عليكم ، وهذه الغاية في تمكن القدرة ثم { لَا تَجِدُوا } عند حلول أحد هذين بكم من  
تكلون أموركم إليه فيتوكل في صرف ذلك عنكم . و { أَمْ } في { أَمْ أَمْنتُمْ } منقطعة  
تقدر بيل ، والهمزة أي بل { أَمْنتُمْ } والضمير في { فِيهِ } عائد على البحر ، وانتصب  
تارة على الطرف أي وقتاً غير الوقت الأول ، والباء في { بِمَا كَفَرْتُمْ } سببية وما  
مصدرية ، أي بسبب كفركم السابق منكم ، والوقت الأول الذي نجاكم فيه أو بسبب كفركم الذي  
هو دأبكم دائماً . والضمير في { بِهِ } عائد على المصدر الدال عليه فنغرقكم ، إذ هو  
أقرب مذكور وهو نتيجة الإرسال . وقيل عائد على الإرسال . وقيل : عليهما فيكون كاسم  
الإشارة والمعنى بما وقع من الإرسال والإغراق . والتبعية قال ابن عباس : النصير ، وقال  
الفراء : طالب الثأر . وقال أبو عبيدة : المطالب . وقال الزجاج : من يتبع بالإنكار ما  
نزل بكم ، ونظيره قوله تعالى { فَسَوْفَ آهًا \* وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا } وفي الحديث :  
( إذا اتّبع أحدكم على